حقائق وأوهام بين التاريخ والإعلام

د. سامي خماس الصقار

في الماضي كان الذين يتصدون للكتابة والتأليف يحرصون أشد الحرص على تحري الحقائق والرجوع إلى المصادر بل إن الكثيرين منهم لا يكتفون بالرجوع إلى المصادر المكتوبة، وإنما يبذلون كل جهد ممكن للوصول إلى الثقات من الرجال الذين يعوّل عليهم في الرواية، سواءً أكان ذلك في العلوم الدينية أم في الفنون الأدبية أم في الروايات التاريخية، وذلك لكي ينقلوا عنهم مباشرة بدون واسطة. ولهذا السبب نجد كثيرًا من المؤلفين قد دأبوا على إيراد سند المعلومات التي يدونونها في مؤلفاتهم، أو ذكر الراوي الأخير على الأقل، أو بيان اسم المصدر الذي نقلوا عنه في أقل الحالات.

أما في المؤلفات الحديثة فإن القواعد المنهجية تلزم الباحثين بتوثيق المعلومات التي تضمنتها مصنفاتهم، وذلك بالإشارة إلى مصادرها في الحواشي مع إيراد بيان بكشف مصادرهم كلها. وفي اعتقادي أن هذا الأسلوب لا بد أنه مقتبس في أساسه من أساليب المسلمين في توثيق الروايات بالأسانيد وفقًا لما بيناه آنفًا.

إلا أن اتساع حركة النشر في عالمنا المعاصر، وقيام حركة صحفية واسعة تجلت في انتشار الجرائد والمجلات على نطاق كبير، قد أتاح الفرصة لأعداد متزايدة من الناس إلى دخول عالم الكتابة، بالنظر لوجود طلب شديد على المواد المكتوبة، وذلك لتسويد صفحات الجرائد والمجلات، إشباعًا لنهم القراء. وقد أدت هذه الظاهرة بدورها إلى أن يمارس الكتابة أحيانًا أناس تنقصهم الخبرة المنهجية، كما أدت ببعض الكُتَّاب في كثير من الأحيان إلى إغفال القواعد المنهجية وعدم الالتزام بالتوثيق، أو التساهل في مراعاة تلك القواعد، الأمر الذي أدى بدوره إلى وقوع أخطاء وأوهام فيما تنشره الصحف، وخصوصًا في المقالات ذات الصبغة التاريخية.

ولئلا أتهم بالمبالغة أو بالافتراء على الصحافة، فقد رصدتُ مقالين أحدهما نشرته مجلة (الخفجي) التي تصدرها شركة النفط العربية، وهي شركة كبيرة تولي مجلتها كل عناية ولا تبخل عليها بالمال. والمقال الثاني نشرته جريدة (الشرق الأوسط) الصادرة في لندن، وهي جريدة مرموقة، تطلق على نفسها اسم «جريدة العرب الدولية»، ويقوم على إصدارها هيئة تحرير ضخمة تمثل مختلف التخصصات. ولذلك فإن وقوع خطأ في بعض ما تنشره هذه الجريدة يعد من الأمور التي تستوقف النظر وتوجب التذكير.

هذا وفي الوقت نفسه لاحظتُ أن وسائل الإعلام ولا سيما الصحافة تتناول أخبار الأحداث التي تقع في بعض أنحاء العالم المجهولة لدى القراء، دون تكلف نفسها عناء التعريف بتلك البقاع، مفترضة أن القارئ يعرفها حق المعرفة. وخير مثال على ذلك الأحداث الواقعة حاليا في «أبخازيا» التي تحاول الاستقلال عن جورجيا (إحدى جمهوريات الاتحاد السوفياتي المنحل)، وكنت أنا شخصيا من الذين يجهلون حقيقة هذا الإقليم، ولم أتنبه إليه إلا عندما رأيت ذكره في الصحف التركية يرد باسم «أباظه - أبازه»، وهي لفظة أشعرتني بأن لهذا الإقليم صلة ما بالمسلمين، وأن الصحافة العربية قد أغفلت تلك الصلة أو أنها تجهل وجودها، الأمر الذي ينبغي التصدي لإيضاحه، ولهذا السبب ضمنتُ كلمتي هذه شيئًا من التعريف بالإقليم المذكور. وأبدأ هذه الكلمة بالحديث عن مقال مجلة (الخفجي) فمقال جريدة (الشرق الأوسط)، ثم النبذة المتعلقة بإقليم (أبخازيا) ومن الله التوفيق.

أولاً - تعليق على مقال «شجرة الدر بين التاريخ والأدب».

نشرت مجلة (الخفجي) في عددها الصادر في شهر نيسان (أبريل) ١٩٩٢م على الصفحات (٢٦ - ٣٠) مقالاً طريفًا بقلم الدكتور خليل الموسى بعنوان «شجرة الدر بين التاريخ والأدب» وقد ألقى المقال الضوء على هذه الشخصية النسائية القوية المتميزة ليس في عالم النساء فحسب، بل وفي عالم الرجال أيضًا، إذ تمكنت من حكم مصر في فترة تعد من أحرج فترات التاريخ الإسلامي عندما كان العالم الإسلامي يتعرض للغزو المغولي في الشرق وإلى الهجمات الصليبية في الغرب، ومنها الحملة المشهورة التي استهدفت مصر في سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م. وقد أخفقت تلك الحملة في معركة المنصورة

المظفرة، إذ تمكن الجيش الإسلامي التابع للملكة شجرة الدر (وتسمى أيضًا شجر الدر) من دحر المعتدين وأسر قائدهم ملك فرنسا لويس التاسع وقتل أخيه.

وإنني مع تقديري للكاتب الكريم، إلا أنني لاحظت وقوع بعض الأخطاء التاريخية في مقاله القيم، مما ينبغي التنبيه إليها، هي:

١ ـ ذكر الكاتب الفاضل (ص ٢٦) أن شجرة الدر جارية تركية اشتراها الملك الصالح الأيوبي في حصن كيفا، في حين أنها لقبت نفسها في السكة التي ضربتها ـ وفقًا لما سجله الكاتب نفسه ـ بلقب «المستعصمية الصالحية»، الأمر الذي يوحي أنها كانت في الأصل من جواري الخليفة العباسي المستعصم الذي كان معاصرًا للملك الصالح أيوب، ولعل هذا الخليفة قد وهبها إليه، مما جعلها تضيف لقبًا آخر إلى اسمها هو «الصالحية» (انظر ترجمتها في كتاب «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي ج ٦ ص٣٧٢ وما بعدها).

٢ ـ أما بالنسبة لحصن كيفا الذي كان مستقر الملك الصالح قبل ذهابه إلى مصر، فقد ورد ذكر هذا الموضع في مقال الدكتور الموسى (في الصفحتين ٢٦ و ٢٨) باسم «حصن كيفا» وهو الاسم الصحيح، إلا أن الكاتب الفاضل سماه (في الصفحة ٢٧) باسم «قصر كيفا» وجعله على حدود تركستان، وهذا خطأ كبير، لأن حصن كيفا من أعمال الجزيرة الفراتية، وهي المنطقة التي تلتقي فيها حدود العراق وسوريا بالحدود التركية، في حين أن تركستان تقع في بلاد ما وراء النهر التي تحتلها الآن جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية، أي على مسافة تقدر بآلاف الكيلومترات إلى الشرق. وقد ذكر ياقوت الحموي في

«معجم البلدان» (طبعة بيروت ج ٢ ص ٢٥٦) حصن كيفا هذا، وقال عنه إنه بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر، من ديار بكر، وبعبارة أخرى إن هذا الحصن يقع قرب مدينة (ديار بكر) التي تقع حاليًا ضمن الأراضي التركية، ولا علاقة لها ببلاد تركستان!

٣ ـ ذكر الكاتب الفاضل في (الصفحة ٢٧) أمير الموصل في عهد شجرة الدر وسماه «بدر الدين لؤلؤ الأيوبي». ثم أكد نسبة هذا الأمير إلى بني أيوب، عندما قال في (ص ٢٨) إن الملك المعز زوج شجرة الدر أراد أن يتصل نسبه ببني أيوب، فأرسل إلى الملك بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يخطب ابنته!

وهذا في ظني خطأ فاحش، إذ لا علاقة لبدر الدين لؤلؤ بالأسرة الأيوبية، وإنما هو من مماليك الأسرة الأتابكية التي كانت تحكم منطقة الموصل وبلاد الشام وإقليم الجزيرة الفراتية، لذلك يعرف بالأتابكي، وهو لؤلؤ بن عبد الله الملقب بالملك الرحيم المتوفى في سنة ٦٥٧ هـ/ ١٢٥٩م، وكان أستاذه (أي مولاه) صاحب الموصل نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي مؤسس الدولة الأتابكية. فلما توفي نور الدين المذكور وخلف أولادًا صغارًا استولى بدر الدين على حكم ولاية الموصل. وهكذا فإنه لم يكن أيوبيًّا قط، وقد سماه كل من ترجم له بـ «الأتابكي» أي من مماليك الأتابكة حكام الموصل والشام والجزيرة الفراتية (انظر ترجمته في كتاب «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي ج ٧، ص ٧٠، وكتاب «الأعلام» لخير الدين الزركلي، الطبعة الجديدة ج ٥ ص ٢٤٥).

هذه بعض ما عنَّ لي من ملاحظات وأنا أقرأ المقال الطريف الذي خطه قلم الدكتور خليل الموسى، وقد رأيت من المفيد نشرها لفائدة القراء، والله من وراء القصد.

ثانيًا — المقريزي وافتتاح المدرسة السنية في عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م!

أعد مكتب جريدة (الشرق الأوسط) في القاهرة مقالاً طريفًا عن المدرسة السنية للبنات التي أسسها الخديوي إسماعيل في القاهرة في عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م، وهي أول مدرسة للبنات في مصر، وقد كُتب هذا المقال بمناسبة قيام الحكومة المصرية بترميم المدرسة وصيانتها، بالنظر لأهميتها الآثارية والمعمارية، فكان ذلك لفتة طيبة من جانب الجريدة إلى هذا المَعْلَم الحضاري المهم. وقد نشر المقال يوم ١١/ ٣/ ١٤١٣هـ- ٧/ ١٠/ ١٩٩٢م.

إلا أن كاتب المقال الفاضل وقع في خطأ جسيم عندما نسب إلى (المقريزي) الحديث عن هذه المدرسة. وكنت أظن في بادئ الأمر أن هناك خطأً مطبعيًا هو المسئول عن الوهم الذي وقع فيه الكاتب، إلا أنه تكرر ذكر المقريزي مرة أخرى في المقال، مما جعلني أستبعد ذلك الاحتمال، فقد ذكر كاتب المقال المقريزي مرتين، الأولى عند حديثه عن ميزانية التعليم في عهد الخديوي إسماعيل، والثانية عند وصف الاحتفال بافتتاح المدرسة السنية.

والمعروف الذي لا جدال فيه، أن المقريزي لا علاقة له من قريب ولا من بعيد بعهد الخديوي إسماعيل، إذ عاش المقريزي (وهو أحمد بن علي الحسيني) في القرن التاسع الهجري / الرابع عشر الميلاد، وقد توفي في عام ٨٤٥هـ/ ١٣٦٥م (انظر كتاب (البدر الطالع) للشوكاني، ج ١ ص ٧٩ وكتاب «الأعلام» للزركلي، ج ١ ص ١٧٧) أي قبل إسماعيل بأربعة قرون، فقد توفي إسماعيل في سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥ م (انظر «الأعلام» ج ١ ص ٣٠٨).

وليت كاتب المقال اقتصر خطـأه على هذا فحسب ، وإنما زاد على ذلك أنه نسب للمقريزي كتـابًا ليس من تأليفه هو «الخطط التوفيقيـة» إذ قال بالحرف الواحـد : «فحسبما ذكر المقريـزي في كتابه (الخطـط التوفيقية) بلغت ميـزانية التعليم الأميري في عهد إسماعيل ٧٥ ألف جنيه . . . الخ» . ومعنى ذلك أن الكـاتب الفاضـل يصرّ على وجود المقـريـزي في عهد أسرة محمـد علي الكبير خديوي مصر ، وأنه صنف كتاب «الخطط التوفيقية» التي ترجع تسميتها بهذا الاسم إلى أن مؤلفها أراد نسبتها إلى الخديوي توفيق بن إسماعيل المتوفى في عام ١٣٠٩/ هــ/ ١٨٩٢ م(انظر «الأعـلام» ج٦ ص ٦٥)، في حين أن هــذا الكتـاب هو من تأليف علي بـاشـا مبارك ، أحـد وزراء الحكومـة الخديويـة ، المتوفى في عـام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م ، وقد صنف كتـابه هـذا في عشرين جزءًا (انظر «الأعلام» ج ٤ ص ٣٢٢ و«معجم المؤلفين» تأليف عمـر رضا كحالة ، ج٧ ص ١٧٣) . ولعل منشأ الخطأ أن للمقريزي كتابًا مشهورًا بعنوان «كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار» الذي اشتهـر باسم «خطط المقريزي» أو «الخطط» فحسب ، وأن علي بـاشـا مبـارك قـد حـذا في كتـابـه «الخطط التوفيقية» حـذو المقريزي في خططه تلك ، فـالتبس الأمر على مسئولي مكتب «الشرق الأوسط» في القاهرة فظنوا أن الكتابين هما شيء واحد!

ثالثًا ـ أبخازيا أم أباظة؟!

يكثر الحديث في هـذه الأيام عن الانتفاضـة القائمـة في جمهورية جـورجيا التي كانت تُسمى من قبل المسلمين بـبلاد الكُرج ، ولا يزال الأتـراك يسمونها بهذا الاسم بعد ترجمته إلى اللغة التركية ، فيقولون «كُرجستان» . وتشير الأخبار في هذا الصـدد إلى إقليم «أبخازيـا» الذي يـدور فيه القتـال بين شعب تلك

المنطقة وقوات حكومة جورجيا . ويبدو أن هذا الشعب قد تمكن من إحراز عدة انتصارات كانت نتيجتها تطهير الإقليم من القوات الحكومية ، بما في ذلك عاصمة الإقليم المسماة «سخوم» . . . والهدف من هذه الانتفاضة الحصول على الاستقلال .

والمعروف إن إقليم «أبخازيا» هذا كان من الأقاليم التي تمتعت بالحكم الذاتي في ظل النظام السوفييتي . أما الآن وبعد ظهور جورجيا كدولة مستقلة ، لم ير أهله مبررًا للبقاء تحت حكم الجورجيين ، إذ ليسوا هم بأقل منهم جدارة بالاستقلال ، وخصوصًا أن ريح القومية قد سرت في شعوب الاتحاد السوفييتي قاطبة ، سريان النار في الهشيم ، فاستقلت الجمهوريات الخمس عشرة كلها ، بل قامت حركات ذات نزعة استقلالية ضمن شعوب تلك الجمهوريات نفسها ، ومنها شعوب شمال القفقاس الواقعة ضمن روسيا الاتحادية ، كالحركة التي قام بها المسلمون من «الشيشان» وأهل «تتارستان» ولكل منهما جمهورية تتمتع بعضوية الاتحاد الفدرالي الروسي ، ومثلهما جمهورية «قبرطية» التي تحركت هي الأخرى (انظر جريدة «الشرق الأوسط» الصادرة يوم ١١/ ٤/ ١٤١٣هـ ـ ٧/ ١٠/ ١٩٩٢م) .

وسكان هذه الجمهوريات تربطهم علاقات متينة بسكان «أبخازيا» مما أدى إلى عقد مؤتمر في أواخر العام الماضي (١٤١٢ هـ ١٩٩١م) ، كان من نتائجه تأسيس ما سُمي باتحاد الشعوب الجبلية في القفقاس ، وتم انتخاب رئيس له هو (موسى شانيبوف) أحد السياسيين المسلمين من مدينة (نالتشيك) عاصمة جمهورية قبرطية . وكان لهذا الاتحاد يد في دعم انتفاضة (أبخازيا) وتعزيز المشاعر القومية في بقية الجمهورية في مواجهة الحكم

الروسي، مما حمل الحكومة الروسية على اعتقال (موسى شانيبوف) يوم ٦/ ٣/ ١٤١٣هـ ـــ ١٣/ ٩/ ١٩٩٢م، بتهمة التحريض على الإرهاب والإخلال بالتوازن القومي والعمل على تداول السلاح في المنطقة، الأمر الذي أثار أهل قبرطية، فوقعت اصطدامات بينهم وبين القوات المسلحة الروسية، إلا أن السلطات الروسية أطلقت سراحه على أمل تهدئة الأوضاع. ولكن تلك الأوضاع لن تهدأ ما لم تعمد القيادة الروسية إلى التخلي عن الحكام الذين يتولون حكم هذه الجمهوريات بعقلية شيوعية، إذ إن أغلبهم ـ إن لم يكن كلهم ـ هم من مخلفات العهد الشيوعي المنقرض الذين لا يثق بهم أحد (انظر جريدة «الشرق الأوسط» الصادرة يوم ١١/ ٤/ ١٤١٣هـ ـــ ٧/ ١٠/ ١٩٩٢م).

وبعد هذا التمهيد، يحسن بنا العودة إلى «أبخازيا» وهي التي ذكرها ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» (ج ١ ص ٦٤) باسم «أبخاز» وقال عنها إنها ناحية من جبل «القبق» المتصل بباب الأبواب، وهي جبال صعبة يسكنها أمة من النصارى يقال لهم الكُرج، وكانت لهم وقائع مع المسلمين، غير أن جلال الدين تملك بلادهم وعاصمتها تفليس في عام ٦٢١ هـ (١٢٢٤م) وقضى على آخر حكامهم، وكانت ملكة تحكمهم آنذاك.

أقول إن ياقوت يقصد ـ فيما يبدو ـ الحملة العسكرية التي قادها جلال الدين بن خوارزم شاه محمد بن تكش، سلطان خوارزم لفتح بلاد الكُرج، وهي الحملة التي ذكرها المؤرخ ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ» ج ١٢ ص ٤٣٤ ـ ٤٣٦.

وتناولت هذا الموضوع الموسوعة الإسلامية الصادرة في هولندا في مادة

(أبخاز)، وقالت عن الأبخاز إنهم قبيلة من قبائل القفقاس الغربية على شاطئ البحر الأسود، تشمل بلاد أبخازيا المنطقة الممتدة من سلسلة جبال القفقاس إلى شاطئ البحر. وأشارت الموسوعة إلى تاريخها القديم ودخول أهلها في النصرانية أيام جستنيان، وكانوا ضمن الإمبراطورية البيزنطية، ثم استقلوا عنها في عام ٨٠٠م (١٨٤ هـ) بمساعدة الخزر وصارت لهم مملكة. وفي عهد أمير تفليس المسلم المدعو إسحق بن إبراهيم (وقد حكم بين ٢١٥هـ/ ٨٣٠ ــ ٢٣٨هـ/ ٨٥٣م) صاروا يدفعون الجزية للعرب. ومرت أبخازيا في فترة من الازدهار والتوسع خلال المدة (٢٣٦هـ/ ٨٥٠م ـ ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)، ولكنها فقدت استقلالها في أواخر القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري)، إذ أصبحت جزءا من جورجيا. ثم تناوب على حكمها عدد من الملوك من أسرة «شروشيدز» الذين يدعون الانتساب إلى أسرة «شيروان شاه» ولكنها سقطت بأيدي العثمانيين، وعندها توسع انتشار الإسلام فيها كما أن حكامها من الأسرة سالفة الذكر اعترفوا بالسيادة العثمانية واعتنقوا الإسلام في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري).

غير أن انضمام جورجيا إلى روسيا في عام ١٨٠١م (١٢١٦هـ) جعل أبخازيا مجاورة لدولة روسيا القوية، مما أتاح لروسيا فرصة التدخل في الشئون الداخلية لهذا الإقليم، ولا سيما أن بعض حكامه لجأوا إليها لغرض حسم خلافاتهم الداخلية مع خصومهم. ومع ذلك بقيت عاصمة أبخازيا المسماة «سخوم» في أيدي المسلمين، هي ومعظم الأراضي التابعة لها، إلا أنها فقدت استقلالها في عام ١٨٦٤م (١٢٨١هـ) عندما غزاها الروس الذين ما لبثوا أن واجهوا ثورة عارمة فيها في سنة ١٨٦٦م (١٢٨٣ هـ). ولكن القوات الروسية

تمكنت من قمع تلك الثورة باستخدام القوة، مما دفع بالكثيرين من أهلها إلى الهجرة إلى الأراضي العثمانية. وهكذا تناقص عدد الأبخازيين المقيمين في بلادهم نقصًا فادحًا إذ لم يزد عددهم آنذاك على (٦٥) ألف نسمة، حتى أن بعض المدن أقفرت من أهلها تمامًا. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تناقص العدد مرة أخرى بهجرة جديدة، عندما اشترك الأبخازيون في ثورة الجبليين في عام ١٨٧٧م (١٢٦٤هـ) وهكذا هبط عدد الباقين في أبخازيا إلى نحو (٢٠) ألف نسمة (انظر مادة «أبخازيا» في الموسوعة الإسلامية (الترجمة العربية) في المجلد الأول ص ٢٠ ـ ٢٣). أما المقصود بالجبليين فهم شعوب الشيشان والتتار والشركس وغيرهم من سكان جبال القفقاس من المسلمين.

وعلى أي حال، فإن أبخازيا قد أصبحت منذ ذلك الحين جزءًا من الإمبراطورية الروسية القيصرية، ثم صارت بعدئذ جزءًا من الاتحاد السوفييتي، وقد كانت تابعة لجمهورية جورجيا، كما ألمحنا في صدر هذه النبذة.

والظاهر أن الأبخازيين الذين هاجروا إلى الأراضي العثمانية عقب ضم بلادهم إلى الإمبراطورية الروسية، وإخفاق ثوراتهم، أصبحوا من المواطنين، لا سيما وأنهم كانوا ـ كما تقدم ـ في فترة من الزمن رعايا الدولة العثمانية. وقد برز بين الأبازيين أو الأبخازيين الذين عاشوا في ظل العثمانيين في مختلف الفترات، عدد من الشخصيات الكبيرة التي تسنمت مناصب عالية في الدولة وقد أشارت الموسوعة الإسلامية إلى عدد منهم. ومن هؤلاء:

١ ـ آبازه باشا، أحد رجال الدولة العثمانية وقادتها العسكريين الذين

خدموا في البلقان وتولوا عددًا من المناصب. توفي أبازه باشا في سنة ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م.

٢ ـ آبازه حسن، تولى قيادة التركمان في آسيا الصغرى. وعين حاكمًا (واليًا) على منطقة ديار بكر. توفي حسن هذا في سنة ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م.

٣ ـ آبازه محمد باشا، الذي تولى ولاية مرعش، وكان في قيادة الجيش العثماني الذي ساند خان القرم ضد الروس في حربه لهم سنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م. ثم تولى قيادات أخرى في البلقان.

٤ ـ وهناك من الآبازين من تولى الصدارة العظمى في عهد السلطان العثماني محمد الرابع، وهو إبشير باشا، وذلك في أواسط القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي).

(انظر بشأن هؤلاء «الموسوعة الإسلامية» ـ الترجمة العربية ـ المجلد الأول ص ٩ ـ ١١).

والجدير بالذكر أن فئة الأبازين هؤلاء كان العثمانيون يطلقون عليهم «أباظة» الذي يلفظونه «آبازه»، من هنا كتبه مترجمو الموسوعة الإسلامية بحرف الزاي، في حين أن الكتابات العثمانية تكتبه بالظاء، وهذا واضح مما نجده في أسماء الآبازين الذين هاجروا إلى مصر في العهد العثماني واستقروا فيها، فهناك عائلة كبيرة منهم، برز من أبنائها عدد من الشخصيات المرموقة، منهم إسماعيل باشا أباظة المتوفى سنة ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٧م، وكان من الشخصيات السياسية والعلمية في مصر (انظر «الأعلام» للزركلي ج ١، ص ٣٠٦ و«معجم المؤلفين» لعمر كحالة، ج٢ ص ٢٥٣)، ومنهم الشاعر

الكبير وأحد رجال الأدب والقضاء البارزين في مصر عزيز باشا أباظة المتوفى في سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م (انظر «الأعلام» ج ٤ ص ٢٣٢ و«المستدرك على معجم المؤلفين» لكحالة ص ٢٤٥). ومنهم أيضا الأستاذ فكري أباظة الكاتب والصحفي المرموق، بل بينهم من احترف التمثيل والفن.

وهكذا فإن بلاد «أبخازيا» التي يتردد ذكرها في وسائل الإعلام في هذه الأيام (في أواسط ربيع الآخر ١٤١٣هـ الموافق لشهر تشرين الأول/ أكتوبر في عام ١٩٩٢م) والتي تتحدى جبروت جورجيا وحاكمها المتجبر (أدورد شيفرنادزه) ليست بعيدة عنا، فأهلها مسلمون، وكان من بين أبنائها من جاهد تحت راية الإسلام وتولى قيادة المجاهدين المسلمين في القفقاس والبلقان، وبينهم من خاض غمار السياسة ومارس القلم. ولذلك فإن من حق «أبخازيا» علينا أن نتعرف عليها ونقلق لما يحلّ بها. وإنني بهذه الكلمات المتواضعة التي حاولت من خلالها إلقاء شيء من الضوء عليها، أهدف إلى قضاء بعض الواجب من جهة، وإلى حث الباحثين على الاهتمام بالأقاليم الإسلامية التي غرقت في ظلام الاستعمار قرونًا عديدة، وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تتحرر وتعي وجودها المتميز، من الشعوب المعادية المحيطة بها، من جهة أخرى.

والله ولي التوفيق.